



يسألني السائلون:

لماذا تهاجم الانقلاب وتدافع عن مرسي والإخوان؟ ولو أن دفاعي كان عنه وعنهم لشرفني هذا الدفاع، فإنه دفاع عن مسلم مظلوم ودفاع عن جماعة صالحة، ولكن الإخوان يخطئون كما يخطئ كل الناس، فإذا أنشأت مقالتي للدفاع عنهم فحسب صرت كأنني أدافع عن أخطائهم، ولو صرفت اهتمامي إلى محمد مرسي بشخصه فإنني ساقع في مشكلة طالما نهيت عنها، وهي تقديم الأشخاص على القيم والمبادئ.

لا، إن الأمر أَجَلُ من أن يُحصَر في شخص أو في حزب أو جماعة؛ إنه دفاع عن الإسلام الذي بدأ الانقلابين بذبحه منذ لحظات الانقلاب الأولى بلا مواربة ولا خجل، وإنه دفاع عن أسمى وأغلى قيم الحياة، "الحرية" التي خلق الله الناس عليها، و"الكرامة" التي كرّم الله بها الإنسان من حيث هو إنسان: {ولقد كرمنا بني آدم}. وإن كرامةً منحها الله للإنسان لا يسلبه إنسانٌ من إنسان.

لذلك فإنني خصم لكل ظالم ونصير لكل مظلوم، وأنا في صف الحق والعدل، وأرجو أن أقوّم بالقسط ولو على نفسي وأهلي الأقربين. هذه الأولى.

الثانية: إن المسلمين أمة واحدة وجسد واحد، فما يكُرُّب مسلماً في أقصى الأرض يكرب كل المسلمين في أدناها، وأي عدوan على بعض منها هو عدوan عليها جميعها، وهذا نحن أولاء في سوريا قد رأينا من انتصار إخواننا في الدين الأعاجيب،

ولولا تلك الوقفة النبيلة الشجاعية التي وقفوها معنا لما صمدنا كل هذا الوقت الطويل، فالفضل لهم بعد فضل الله والشكر لهم بعد شكر الله. فإذا وقفنااليوم مع إخواننا في مصر ونصرناهم وواليناهم فإنما نقوم بحق الأخوة بلا منة ولا تفضيل، وإنما نحقق معنى الأخوة في الله والنصرة في دين الله.

الثالثة: أمران لا ينبغي لمسلم حر عاقل أن يسكت عنهما، لا في سوريا ولا في مصر ولا في غيرهما من بلاد المسلمين: استبداد قلة من الناس بأكثريتهم، وحكم العسكر. إن الاستبداد رأس كل الشرور والآثام، وإن حكم العسكر أصل كل البلايا والخطايا في ديار الإسلام.

* * *

قرأت لآخر أحبه في الله وأتفق معه على الغاية ولكننا نختلف على المنهج، قرأت له مقالة يطلب فيها من المصريين عدم الانتصار لمرسى وعدم التظاهر من أجله والاعتزال دونه لأن المعركة ليست بين حق وباطل كما يقول، بل بين باطلين يلبس أحدهما لباس الإسلام ولكنه لا يحكم بشرع الله.

لماذا يا أخا الإسلام؟

هل استوى الفريقيان عندك حتى تعزلهما معاً وتترك الانتصار لأخيك المسلم؟

وهبّ أنه لم يحكم بالإسلام لعجز وضعف (أنت نفسك وصفتهما في مقالتك) فهل يخرج بذلك من الإسلام أم يبقى من المسلمين؟ أليست نصرة المسلم واجبة على المسلم في كل حال؟

أما لو أنَّ مُحَمَّداً عليه صلاة الله وسلامه شهد الموقف لانتصر للحق وانتصف للمظلوم ودعا الناس إلى نصرته. أليس هذا ما نفهمه من قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديث عبد الرحمن بن عوف: "لَقَدْ شَهَدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفًا فِي دَارِ اللَّهِ بْنِ جُدُّعَانَ مَا أَحَبَّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعْمَ، وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ فِي إِسْلَامٍ لَأَجْبَتُ"؛ وهو مرسل بهذا اللفظ وموصول من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر (وله شواهد)، والنصف هو حلف الفضول المعروف.

إن النبي عليه الصلاة والسلام يرى المشاركة في هذا الحلف أحب إلى الله من مال الدنيا، وهو حلف لا يدعو إلى الإسلام ولا إلى حاكمة الإسلام وتحكيم شرع الله، بل يدعوه فقط إلى "نصرة المظلوم حتى يؤتى إليه حقه" كما فصلت كتب السيرة. ولا يقل أحد إن هذا كان في الجاهلية قبل الإسلام، فإن النبي عليه الصلاة والسلام لم يترك محلاً للشك فقال: "لو دعيت به في الإسلام لأحيت".

لقد لبست أزور مصر مرة كل سنة من أربع وعشرين سنة إلى اليوم، فما رأيت الإسلام فيها عزيزاً ولا رأيت المسلمين أعزّة كما رأيته ورأيتم آخر مرة. أليس هذا مما يرضي الله ويسرّ عباده المؤمنين؟

* * *

لم يعد الأمر بعد الانقلاب كما كان قبله، لم تعد المسألة متعلقة بفرد ولا بحزب أو جماعة، لقد صارت مفاضلة ومفاصلة؛ مفاضلة بين الحق والباطل، ومفاصلة بين الحرية والاستبداد، وهذه المعركة ليس فيها موضع للحياد.

لقد عاد حكم العسكر وعاد تكميم الحريات الذى ثار الشعب المصرى قبل عامين للخروج من سجنه الخانق، لقد أطفأ

الانقلابيون شمعة الحرية الوليدة وأعادوا مصر إلى ليل الظلم البهيم، وإذا لم يُسقط المصريون هذا الانقلاب سريعاً وبقي وبدأ يتجذر ويقوى فلن يقتله أحد، وسوف تغرق مصر في ظلام العبودية والاستبداد ما لا يعلم عدده من سنين إلا الله لا قدر الله. فلا مساومة ولا مهادنة ولا مداهنة، ولا تنازل عن إسقاط الانقلاب وإعادة الرئيس الشرعي المنتخب مهما يكن الثمن ومهما تبلغ التضحيات.

الزلزال السوري

المصادر: